

# خسارة الملاذ الأخير:

المأساة الإنسانية في إدلب

سحر الأطرش

2019 | سبتمبر تقرير



## الملخص والتوصيات

مع استعادة الرئيس بشار الأسد وحلفاؤه مساحة كبيرة من الأراضي السورية خلال السنوات القليلة الماضية، أصبحت محافظة إدلب والمناطق المحيطة بها في شمال غرب سوريا—والتي تسيطر عليها فصائل المعارضة—الملاذ الأخير لنحو 3 ملايين شخص. والآن، وبدعم من روسيا، يشن النظام السوري هجوماً شرساً لاستعادة معلم المعارضة الأخير في ما يمكن أن يصبح أحد أكثر فصول الحرب السورية دموية.

وقد تم إحباط هذا الهجوم في سبتمبر 2018 بموجب اتفاق بين روسيا وتركيا تم التوصل إليه في سوتشي، روسيا حيث نصت مذكرة تفاهم بين الطرفين على انسحاب الجماعات المسلحة المعاوضة، بما فيها هيئة تحرير الشام (الهيئة)—وهو تنظيم منشق عن تنظيم القاعدة. من منطقة منزوعة السلاح طولها 12 ميلاً على طول الخطوط الأمامية، وفتح طريقين رئيسين تسيطر عليهما الهيئة، وهما الطريقان السريعان M4 وم5 اللذان يعبران إدلب إلى حركة المرور والتجارة. إلا أن الهيئة رفضت الانسحاب بل وأعادت سيطرتها على معظم الشمال الغربي. وفي أواخر أبريل / نيسان 2019، انهارت صفقة سوتشي في مواجهة التصعيد العسكري للنظام السوري، بدعم من روسيا.

وقد تحمل السكان المدنيون في إدلب إلى حد كبير وطأة هذا التصعيد حيث تم تهجير وتشريد حوالي نصف هؤلاء السكان من مناطق أخرى من البلاد استعادتها الأسد، ويعتمد حوالي ثلثي هؤلاء السكان على المساعدات الإنسانية. وفي الأشهر الثلاثة الماضية، قتل النظام السوري والقصف الروسي العشوائي أكثر من 500 مدني وجرحآلافآخرين. وما يثير القلق بشكل أكبر أن الغارات الجوية الروسية والروسية استهدفت عمداً البنية التحتية المدنية الحيوية، بما في ذلك المستشفيات والمدارس. في السنوات الأخيرة، قامت منظمات غير حكومية بمشاركة إحداثيات هذه المرافق مع الأمم المتحدة، والتي بدورها قامت بمشاركتها مع الأطراف المتحاربة في محاولة لحماية هذه المنشآت وحماية فرق الإسعاف. وفي أغسطس / آب 2019، أعلنت الأمم المتحدة عن إجراء تحقيق في هذه الضربات الجوية. بيد أنها لم تقدم أية تفاصيل عن الجدول الزمني أو المسار نفسه.

وقامت الفصائل المسلحة بتصف المدن التي تسيطر عليها الحكومة بشكل عشوائي أيضاً، مما أسفر عن مقتل العشرات من المدنيين. وبالإضافة إلى ذلك، أفادت التقارير أن الهيئة قد ارتكبت انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان ضد المدنيين في شمال غرب سوريا، بما في ذلك الاعتقالات التعسفية والخطف والتعذيب والقتل.

وتشعر تركيا بقلق بالغ إزاء هذا الهجوم، حيث أنها تستضيف أكثر من 3.5 مليون سوري على أراضيها، وقد يتسبب التصعيد الأخير في نزوح عشرات الآلاف من اللاجئين عبر الحدود. ولمنع تدفق اللاجئين إلى تركيا، قامت أنقرة ببناء جدار طوله 500 ميل تقريباً على حدودها الجنوبية مع سوريا. ومع ذلك، لا تزال تركيا أيضاً منخرطة بعمق داخل إدلب - حيث تدعم الجماعات المسلحة التي تحارب النظام - وفي سوريا بشكل أوسع، حيث تسيطر على أجزاء من محافظة حلب.

ويعود الفضل إلى حد كبير إلى الدعم التركي، في أن هذه الجماعات المسلحة منعت النظام السوري وروسيا من التقدم عسكرياً على الأرض لأكثر من ثلاثة أشهر. ومع ذلك، حققت القوات السورية مؤخراً تقدماً مهماً. ففي ظل الغطاء الجوي الروسي الكثيف، استعاد النظام مناطق استراتيجية في شمال حماة وجنوب إدلب، كما واستعاد السيطرة على الطريق السريع M5. لوقف هذا التقدم ووقف الهجوم، كثفت أنقرة جهودها

الدبلوماسية مع روسيا. في 31 آب/أغسطس، وعقب زيارة الرئيس التركي أردوغان لموسكو، التزمت روسيا بوقف إطلاق نار من جانب واحد. ومع ذلك، لا تزال هذه الهدنة ضعيفة للغاية.

يتم تنظيم عمليات المساعدات الإنسانية في إدلب والمناطق المحيطة بها بموجب قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2165، والذي يتم تجديده سنويًا منذ إقراره العام 2014.<sup>1</sup> ويسمح هذا القرار بإيصال المساعدات عبر الحدود إلى المناطق غير خاضعة لسيطرة الحكومة دون موافقة مسبقة من دمشق. ونظراً لانتهاء صلاحية القرار في يناير 2020، تشعر المنظمات الإنسانية بالقلق من أن روسيا - التي تتندد المساعدة عبر الحدود بشدة - قد تستخدم حق النقض ضده.

وعلى الرغم من الجهود الحثيثة التي تبذلها المنظمات الإنسانية، إلا أنها تعاني من عباء الاحتياجات الهائلة في إدلب. وقد تسبب الهجوم الأخير في أكبر موجة من النزوح في الحرب السورية حتى الآن، مما أدى إلى تشريد أكثر من نصف مليون شخص يعيشون في مناطق تسيطر عليها المعارضة. ونظراً لأن مخيمات النازحين قد تجاوزت طاقتها، فإن معظم النازحين يعيشون في مخيمات غير رسمية مكتظة بالسكان تشكل الحياة فيها كفاحاً يومياً، حيث يفتقر البعض حتى إلى أبسط الخدمات الأساسية، بما في ذلك المرافق الصحية أو المياه. ويقال إن آلاف النازحين يعيشون في الهواء الطلق تحت أشجار الزيتون.

وبالإضافة إلى ذلك، تفيد تقارير إلى ازدياد الزواج المبكر والعنف والاستغلال الجنسي، والتي يرتكبها في بعض الأحيان حتى عمال الإغاثة ومديرو المخيمات. وما يزيد الوضع تعقيداً انخفاض التمويل بسبب إجهاد المانحين وقلق الحكومات الغربية إزاء انحراف المساعدات من قبل هيئة حياة تحرير الشام. وعلى وجه التحديد، ألغت الولايات المتحدة تمويلها لعملية الاستقرار في شمال غرب سوريا في العام 2018 وخفضت بشكل كبير مساهمتها الإنسانية للعام 2019 في البلاد.

أنا من الناحية الدبلوماسية، فقد انقطعت الإدارة الأمريكية إلى حد كبير عن الأحداث في شمال غرب سوريا. ولم تبذل إدارة ترامب أية جهود دبلوماسية مجدية للتوصل إلى وقف دائم للأعمال العدائية في شمال غرب سوريا. يبقى أن نرى إلى متى سيستمر وقف إطلاق النار الحالي. في آب / أغسطس، انهارت الهدنة السابقة في غضون أيام. إلا أن القتال في إدلب قد وصل إلى منعطف حرج، وهناك حاجة ماسة لضغط كبيرة على الأطراف المتحاربة لوضع حد دائم للعنف. في غياب هذه الجهود، إن الوضع في إدلب قد يتحول إلى "كابوس إنساني لا يشبه أي شيء رأيناه خلال هذا القرن"، كما حذرت الأمم المتحدة.

#### التوصيات:

- يتعين على تركيا وروسيا اغتنام فرصة وقف إطلاق النار الحالي للمباشرة في محادثات تهدف إلى استئناف اتفاق سوتشي.
- ودعمًا لهذه المحادثات، يتعين على قوات الحكومة السورية وجماعات المعارضة المسلحة وقف القصف المستمر والالتزام بالامتناع عن القيام بمزيد من العمليات الهجومية في إدلب والمناطق المحيطة بها.

<sup>1</sup> يتغير رقم القرار في كل مرة يتم تجديده.

- يجب على الحكومة السورية وروسيا الالتزام بعدم استئناف القصف الجوي في شمال غرب سوريا.
- يتبعين على الولايات المتحدة أن تبذل جهداً دبلوماسياً متضادراً للضغط من أجل دفع المحادثات المتتجدة بين تركيا وروسيا ودعمها. وينبغي على الرئيس ترامب أن يدين شخصياً وبقوة أي انتهاكات لوقف إطلاق النار الحالي.
- ينبغي على الولايات المتحدة والأعضاء الآخرين في مجلس الأمن للأمم المتحدة الضغط على روسيا لضمان حماية البنية التحتية الإنسانية والعاملين فيها، وإدانة الهجمات ضد المنشآت الإنسانية باعتبارها جرائم حرب.
- يجب على الأمم المتحدة الإسراع في استكمال التحقيق في الهجمات على المنشآت الإنسانية، وتحديد المسؤوليات، وإظهار نتائج التحقيق للعلن.
- ويتعين على أعضاء مجلس الأمن للأمم المتحدة الانخراط مع روسيا لضمان تجديد قرار المساعدات عبر الحدود في يناير/كانون الثاني 2020.
- ولتعزيز جهود الإغاثة المستمرة داخل إدلب، ينبغي اتخاذ الخطوات التالية:
  - ينبغي على الولايات المتحدة ان تطلق فوراً أموال الطوارئ لدعم عمليات الإغاثة في إدلب والعدول عن قرارها بقطع أموال ترسیخ الاستقرار عن شمال غرب سوريا.
  - ينبغي على الجهات المانحة الأوروبية والخليجية ان تقوم وعلى الفور بزيادة تمويل أنشطة إنقاذ الأرواح وإعادة التمويل من أجل الحماية والتعليم وفرص العمل.
- استعداداً لاحتمال تدهور الوضع الإنساني في إدلب بسبب الهجوم العدوانى للنظام، ينبغي اتخاذ الخطوات التالية:
  - ينبغي على تركيا التحرك السريع لإنشاء مخيمات للنازحين داخلياً في المناطق التي تسسيطر عليها في شمال سوريا وزيادة قدرة مخيمات اللاجئين الموجودة داخل جنوب تركيا لاستيعاب عشرات الآلاف من المدنيين الفارين من العنف بشكل مؤقت.
  - ينبغي على المجتمع الدولي الضغط على تركيا لفتح حدودها الجنوبية أمام اللاجئين الفارين من العنف.
  - ينبغي على المانحين الغربيين ودول الخليج التعهد بتقديم التمويل والمساعدة الملزمين للسماح لتركيا باستيعاب المزيد من اللاجئين بشكل مؤقت.
- ينبغي على المنظمات الإنسانية العاملة في إدلب أن تعزز آليات المساءلة والمراقبة الداخلية لمنع تحريف مسار المساعدات.

- ينبغي على المنظمات الإنسانية أن تعزز تدريب موظفيها ومرؤوسيهم في ما يتعلق بالاستغلال الجنسي، وأن توفر طرقاً آمنة للضحايا للإبلاغ عن الانتهاكات. وينبغي لهذه المنظمات أيضاً عقد دورات توعية مجتمعية بشأن الزواج المبكر والاستغلال الجنسي والعنف القائم على نوع الجنس.
- ينبغي على تركيا تسهيل تسجيل المنظمات غير الحكومية والحصول على تصاريح العمل لموظفيها. في المقابل، يجب على المنظمات الإنسانية الامتثال للقوانين التركية.

## نـبذـة خـلـفـيـة

في فبراير / شباط 2019، شنت سوريا وحليفتها روسيا حملة لاستعادة محافظة إدلب والمناطق المحيطة بها - آخر معقل للمعارضة في شمال غرب سوريا. وقد نجحت تركيا، التي يشكل وجودها العسكري والإنساني في المنطقة أحد الأشكال الرئيسية لنفوذها الاستراتيجي في سوريا، في منع هجوم عسكري سابق. الآن ستختسر إذا ما فاز النظام وروسيا.

وتعد إدلب والمناطق المحيطة بها مهمة للسياسة الداخلية والخارجية لأنقرة، إذ تستضيف تركيا أكثر من 3.5 مليون سوري نزحوا بسبب الحرب. وفي ضوء العملية العسكرية على إدلي، قد يحاول المزيد من اللاجئين عبور الحدود من إدلب. وخوفاً على أنها القوي إذا ما تسلل مقاتلون جهاديون إلى تركيا، قامت الحكومة التركية في العام 2017-2018 ببناء جدار طوله حوالي 500 ميل على حدودها مع سوريا. علاوة على ذلك، تحفظ القوات التركية بوجودها في شمال غرب سوريا بالقرب من الحدود الجنوبية، وتدعم أنقرة بعض الفصائل المسلحة السورية الرئيسية في المنطقة. وأخيراً، تسيطر تركيا على الأرضية السورية المتاخمة لإدلب في محافظة حلب.

في العام 2017، خلال المحادثات في كازاخستان، توصلت تركيا وروسيا وإيران، إلى اتفاق لوقف التصعيد شمال أربع مناطق. منذ ذلك الحين، استعاد النظام السوري وحلفاؤه جميع هذه المناطق باستثناء ما يسمى بـ "منطقة وقف التصعيد في إدلب" في شمال غرب سوريا والتي تشمل محافظة إدلب والمناطق المتاخمة لها في شمال شرق اللاذقية وغرب حلب وشمال حماة.<sup>2</sup> وفي سبتمبر / أيلول 2018، توصلت موسكو وأنقرة إلى مذكرة تفاهم في المدينة الروسية سوتشي في محاولة لحفظ على "منطقة وقف التصعيد" الأخيرة.

تم التوصل إلى صفة سوتشي في الوقت الذي كان النظام السوري بقيادة الأسد يكتف حشده العسكري على أطراف المنطقة. ورغم الشواهد التي تعيّب مذكرة سوتشي، إلا أنها أحبطت ما بدا في حينها أنه كارثة إنسانية وشيكّة. كما دعت المذكرة إلى انسحاب الجماعات المسلحة وإزالة جميع الأسلحة الثقيلة من منطقة منزوعة السلاح على طول الخط الأمامي في الشمال الغربي، على مسافة 12 ميلاً تقريباً، وتأمين طريقين رئيسيين لحركة المرور والتجارة التي تسيطر عليها هيئة تحرير الشام، وهي هيئة تابعة لتنظيم القاعدة سابقاً والتي صنفتها معظم الدول كمنظمة إرهابية — وهما الطريقان السريعان M4 و M5 اللذان يربطان دمشق بحلب واللاذقية مروراً بإدلب. كما نصت على التزام روسيا "بضمان تجنب العمليات العسكرية والهجمات على إدلب

<sup>2</sup> في هذا التقرير، يشار إلى هذه المنطقة بـ "شمال غرب سوريا" أو "إدلب والمناطق المحيطة بها، على الرغم من أن بعض أجزاء هذه المنطقة استعادها النظام لاحقاً.

والحفاظ على الوضع الراهن القائم"<sup>3</sup>، ودعت المذكرة تركيا إلى تعزيز وجود قواتها في مراكز المراقبة داخل المقاطعة، مشدداً بذلك على دور أنقرة الحاسم في الحفاظ على استقرار المنطقة.

وفقاً للاتفاق، انسحبت الجماعات المسلحة المدعومة من تركيا من المنطقة المتفق عليها. إلا إن الهيئة رفضت شروط مذكرة التفاهم، لا بل وشنت هجوماً واسعاً ضد الفصائل المدعومة من تركيا في كانون الثاني/يناير 2019، معيدة سيطرتها على معظم المنطقة. ومع تزايد نفاد صبرها من عجز تركيا عن تنفيذ اتفاق سوتشي، دعمت روسيا تصعيد النظام العسكري في فبراير 2019، الذي بحلول أواخر نيسان/أبريل 2019، تحول إلى هجوم دموي واسع النطاق.

كانت الفصائل المسلحة التابعة لتركيا حاسمة في كبح تقدم النظام لعدة أشهر. ومع ذلك، استولى النظام السوري وروسيا مؤخراً على مناطق استراتيجية في شمال حماة وجنوب إدلب واستعادوا السيطرة على الطريق السريع M5. لا يزال القصف الجوي، رغم وحشيته، محصوراً إلى حد كبير بجنوب إدلب والجيوس المجاورة في ريف محافظات حماة وحلب واللاذقية. ومن المرجح أن يكشف النظام القصف، بدعم من روسيا، مما يزيد الضغط على المقاتلين والمجتمعات المحلية، في محاولة لمواصلة تقدمه نحو الطريق السريع M4.



نازحون من إدلب يهربون من قصف النظام السوري وروسيا محمّلين بعض الحاجيات الأساسية في شاحنات – صورة لـ "الجمعية الطبية الأمريكية السورية (سامز)" .

<sup>3</sup> جويس كرم، "كشف النص الكامل لمذكرة تركيا وروسيا بشأن إدلب"، ذا ناشيونال، 19 أيلول/سبتمبر 2018، <https://www.thenational.ae/world/mena/full-text-of-turkey-russia-memorandum-on-idlib-revealed-1.771953>.

علاوة على ذلك، فقد تسبب هجوم النظام في خسائر إنسانية فادحة. يعيش في شمال غرب سوريا أكثر من 3 ملايين شخص، نزح نصفهم من مناطق أخرى من البلاد إزاء استيلاء النظام على مساحات من الأرض التي تسيطر عليها المعارضة. وأصبحت هذه المنطقة الملاذ الآمن الأخير لهؤلاء المشردين داخلياً، الذين يجدون أنفسهم الآن محاصرين.

وأدى القصف العشوائي للنظام السوري والقوات الروسية إلى مقتل أكثر من 500 مدني منذ أبريل / نيسان 2019، وإصابة عدة آلاف بجروح، وتشريد مئات الآلاف. كما قامت فصائل المعارضة بقصف المدن الخاضعة لسيطرة النظام بشكل عشوائي، مما أسفر عن مقتل أعدادٍ من المدنيين.<sup>4</sup> وفي 30 آب/أغسطس، أعلنت روسيا وقفاً لإطلاق النار من جانب واحد احترمه الأطراف المتحاربة بشكل كبير، على الرغم من وقوع انتهاكات متفرقة من كلا الجانبين.<sup>5</sup> ولكن إذا ما انهار وقف إطلاق النار هذا وتصاعد العنف أكثر، كما يبدو محتملاً، فقد تصبح هذه الأزمة "أسوأ كارثة إنسانية شهدتها العالم حتى الآن هذا القرن".<sup>6</sup>

## الملاذ الآخر

تطور الوضع في شمال غرب سوريا بشكل كبير في السنوات الأخيرة. وكانت منطقة إدلب والمناطق المحيطة بها المهمشة تاريخياً، موضعًا لسلسلة اتفاقيات وقف التصعيد ونزع السلاح بين تركيا وإيران وروسيا منذ عام 2017. وقد أسفرت هذه الاتفاقيات في بعض الأحيان عن عودة الحياة الطبيعية للسكان المدنيين رغم القصف المتقطع.

وقد استفادت المنطقة من نمو الأعمال التجارية الصغيرة التي بدأها النازحون من أجزاء أخرى من البلاد. وساعدت عمليات البناء والخط التجاري النشط مع تركيا وشبكة المنظمات الإنسانية والمقاولين من القطاع الخاص على تنشيط الاقتصاد المحلي بشكل دوري. ومع ذلك، فقد كافت الغالبية العظمى من السكان. حتى قبل التصعيد العسكري في شباط / فبراير 2019، كان أكثر من مليوني شخص في شمال غرب سوريا يعتمدون بالفعل على المساعدات الإنسانية.<sup>7</sup> فالخدمات والبنية التحتية الأساسية كانت منهارة بالفعل تحت ضغط وطأة السكان الذين تضاعف عددهم خلال بضع سنوات فقط.

الآن يعيش سكان منطقة شمال غرب سوريا في خوف كبير. تقول ناشطة سورية من إدلب: "كل يوم، أودع عائلتي عندما أغادر المنزل. ربما يقتلون جميعاً في غارة جوية، أو قد أقتل أنا ولا أراهم مرة أخرى أبداً."

في الوقت الذي يهجر المزيد والمزيد من الناس داخل إدلب، فإن تأثير الهجوم العسكري يستند ما تبقى من كرم الضيافة للمجتمع المضيف. لقد ترك العديد من المدنيين الفارين كل شيء وراءهم، ويمشون لساعات طويلة أو حتى لأيام لأنهم لا يستطيعون تحمل تكاليف النقل. وأنفق آخرون الأموال القليلة المتبقية للوصول

4 "المتمردون السوريون يقصفون المناطق الريفية التي تسيطر عليها الحكومة وأدى ذلك إلى مقتل 12"، أسوشيد برس، 17 حزيران/يونيو 2019، ، فيبيان بي وهودا سعد، "الحكومة السورية تبدأ حملة لاستعادة آخر معقل للمعارضة في إدلب"، نيويورك تايمز، 20 أيار/مايو 2019، <https://www.apnews.com/9f88a272eb004ef89607c9a99b725623>

5 "سوريا: انتهاء هذه إدلب، وسائل الإعلام" ، أنساميدي، 3 أيلول/سبتمبر 2019.

6 "الأمم المتحدة تحذر من أسوأ أزمة إنسانية في القرن الحادي والعشرين تكشف في سوريا"، الديمقراطي الآن، 1 آب/أغسطس 2019 .

[https://www.democracynow.org/2019/8/1/headlines/un\\_warns\\_21st\\_centurys\\_worst\\_humanitarian\\_crisis\\_unfolding\\_in\\_syria](https://www.democracynow.org/2019/8/1/headlines/un_warns_21st_centurys_worst_humanitarian_crisis_unfolding_in_syria).

7 الأمم المتحدة، "ظروف الشتاء القاسية والأعمال العدائية المستمرة أجبرت على نزوح أكبر للمدنيين في سوريا، منقذ الإغاثة الطارئة يخبر مجلس الأمن"، 30 كانون الثاني/يناير 2019، <https://www.un.org/press/en/2019/sc13684.doc.htm>.

إلى بر الأمان. وهم يصلون إلى المجتمعات المضيفة الفقيرة التي تعتمد إلى حد كبير على المنظمات الإنسانية لتلبية حتى أبسط احتياجاتهم الأساسية.



صورة للأقمار الصناعية تظهر تمدد مخيمات النازحين في شمال غربي سوريا، قرب الحدود مع تركيا – صورة من خرائط جوجل.

على الرغم من توجه بعض النازحين إلى المناطق التي تسيطر عليها تركيا في محافظة حلب،<sup>8</sup> بالنسبة لمعظمهم، فإن المجتمعات على طول الحدود مع تركيا داخل الأراضي السورية توفر أفضل فرصه للأمان. غير أن العبور إلى تركيا نفسها أصبح الآن مستحيلاً تقريباً بسبب الجدار الفاصل بين البلدين. يصل النازحون حديثاً إلى مناطق مكتظة بنازحين قدامى. وقد تمكن البعض منهم من التماس المأوى في مبان غير مكتملة أو مراكز إيواء جماعية مثل المدارس والمساجد. ودخل آخرون المخيمات التي تديرها المنظمات الإنسانية. إلا أن هذه المخيمات تجاوزت أيضاً قدرتها منذ زمن طويل. وبالتالي، يعيش حوالي 90 في المائة من النازحين الجدد في مخيمات غير رسمية.

<sup>8</sup> حسين عكوش، "السوريون يتوجهون إلى عفرين الخاضعة للسيطرة التركية للهروب من مطاردة الأسد"، تي آر تي وورلد، 7 أيار / مايو 2019، <https://www.trtworld.com/magazine/syrians-head-to-turkish-controlled-afrin-to-escape-assad-s-death-chase-26733>.

## "العودة إلى العصر الحجري": الظروف المعيشية للنازحين في إدلب

المخيمات غير الرسمية هي عبارة عن مخيمات مؤقتة لا تشرف عليها المنظمات الإنسانية، على الرغم من أن بعض هذه المنظمات تحاول سد بعض التغرات. غير أن هذه المساعدة لا تزال غير كافية في أفضل الأحوال، ولا تفي هذه المخيمات بالحد الأدنى من المعايير الإنسانية للوصول إلى الخدمات الأساسية أو الحماية. يقول مدير منظمة غير حكومية سورية: "من لديه خيمة فوق رأسه يعتبر محظوظاً، مفكراً في آلاف الأشخاص الذين يعتقد أنهم يعيشون في الشوارع أو تحت أشجار الزيتون".

إن الحياة اليومية في هذه التجمعات غير الرسمية هي شأن من الشؤون الهوبيسية (نسبة إلى الكاتب توماس هوبس). ففي ظل ظروف الاكتظاظ، تكثر الفوضى والمشقة والبؤس. "إنه أبعد مما يمكن أن تصفعه الكلمات"، تقول ممثلة لمنظمة إغاثة سورية في غازي عنتاب في جنوب تركيا، "إن القول بأن الوضع لانسانی لا يکفی". ويقول عامل إغاثة آخر: "عندما أذهب إلى شمال إدلب وأشاهد المخيمات، لا أستطيع أن أصدق ما أراه. أشعر أننا عدنا إلى العصر الحجري".

تكافح الأسر من أجل تلبية أبسط احتياجاتها الأساسية - من المأوى والغذاء والمياه إلى الحماية والكرامة. وقد أصبحت الخصوصية مستحيلة بالنسبة للكثيرين. العديد من العائلات، التي يبلغ متوسط حجمها ستة،<sup>9</sup> يعيش أفرادها متكدسين في خيمة واحدة. وفي بعض الحالات، تشتراك عائلتان أو ثلاث في نفس الخيمة، ولا تفصل بينها إلا ملاءات.<sup>10</sup> وعلاوة على ذلك، تشكل الأحوال الجوية مخاطر على سلامة الأسر. أولئك الذين يعيشون في خيام يواجهون طقساً شديداً الحرارة في فصل الصيف، وبرداً قارصاً وخطر الفيضانات في فصل الشتاء.

وعلى نطاق أوسع، فإن التدفق الأخير لآلاف من الناس قد فرض ضغطاً هائلاً على إمدادات الصرف الصحي والمياه والمرافق الصحية المجتمعية. ونتيجة لذلك، أصبحت إمكانية الحصول على المياه والمرافق الصحية والنظافة الصحية محدوداً بصورة متزايدة، ومما زاد من تفاقمها الهجمات التي يشنها النظام على مرافق المياه.<sup>11</sup> ويتزايد قلق المنظمات الإنسانية إزاء انتشار الأمراض المتعلقة بالنظافة الصحية. وقال رئيس البرامج في إحدى المنظمات السورية غير الحكومية التي تقدم خدمات عرضية في المخيمات غير الرسمية: "نقوم بدورات توعية حول النظافة وأهمية غسل الأيدي بعد استخدام الحمام. لكن الناس ليس لديهم حتى دورات مياه، وليس لديهم مياه.

والمراحيس شحيحة وغير صحية ومحاطة بين الجنسين في معظم المخيمات. وحذر عامل إنساني من أنه "يجب على الناس السير لمسافات طويلة على طرق غير مضاءة وخطرة بين الخيام للوصول إليها مما يشكل خطراً على النساء والفتيات والفتيا". ووفقاً لعدة محاورين، فقد أدت هذه الحالة إلى زيادة خطر العنف القائم على نوع الجنس في المخيمات. ومع ذلك، فإن الوصول المحدود إلى المرحاض يعتبر رفاهية يفتقر إليها العديد من النازحين.

9 نظرة عامة على الحالة: محافظة إدلب والمناطق المجاورة، REACH، أغسطس 2018، <https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/situation-overview-idleb-governorate-and-surrounding-areas-north-west-0>

10 مقابلات مع عمال الإغاثة في غازي عنتاب وأنطاكيا والريحانية، وعبر الهاتف داخل إدلب، يونيو/حزيران 2019.

11 منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف)، "تعرض ثمانية مرافق للمياه للهجوم في إدلب، شمال غرب سوريا، مما يؤثر على إمدادات المياه لنحو 250,000 شخص"، 20 يوليو/تموز 2019، <https://www.unicefusa.org/press/releases/eight-water-facilities-come-under-attack-idlib-northwest-syria-affecting-water-supply>

## زيادة مواطن الضعف

طالت الحرب في شمال غرب سوريا الجميع ولم تذر أحداً. وتكافح جميع شرائح المجتمع لمواجهة تبعات النزوح والعنف والانهيار الاقتصادي حيث يواجه كل منهم نقاط ضعف محددة.

### النساء والفتيات

لا يزال هناك عدد قليل نسبياً من الرجال الذين يعيشون في المجتمعات المحلية في الشمال الغربي لسوريا. الكثير منهم يقاتلون على الخطوط الأمامية، بينما قتل آخرون أو اختفوا قسراً أو سُجنا. ونتيجة لذلك، يقدر أن أكثر من نصف سكان المنطقة يعيشون في أسر ترأسها إناث.<sup>12</sup> وفي مجتمع تحكمه إلى حد كبير القواعد الأبوية، ترك هذا الوضع أسراً بأكملها دون مصدرها التقليدي للحماية والدخل. وفي بعض الحالات، أجبرت النساء والفتيات على اللجوء إلى استراتيجيات المواجهة السلبية أو التعامل مع الظروف التي تعرضهن لخطر أكبر.

على سبيل المثال، أصبح الزواج المبكر بين الفتيات أكثر انتشاراً. أخبر العديد من العاملين في المجال الإنساني والناشطين فريق "منظمة اللاجئين الدولية" أن الفتيات القاصرات يتم إجبارهن على الزواج من رجال يكبرنها سنّاً، والذين غالباً ما يكونون لديهم زوجة أخرى أو أكثر.<sup>13</sup> كما من الاعتداءات الجنسية والجسدية آخذة في الازدياد. وما يثير القلق إنه حتى بعض العاملين في المجال الإنساني الذين ينبغي عليهم حماية النازحين هم أنفسهم ارتكبوا انتهاكات ضد النساء والفتيات. وقالت ناشطة سورية تعمل في منظمة دولية لحقوق الإنسان: "الجنس من أجل المساعدات لم يعد أمراً غير مألف. سمعت عدة روايات عن مدراء مخيمات أو عمال إغاثة يستغلون النساء والفتيات جنسياً مقابل حصولهن على الغذاء أو الخدمات". يصعب تقييم طبيعة المشكلة الكاملة ونطاقها لأن النساء غالباً ما يتربّدن في الإبلاغ عن سوء المعاملة خوفاً من الفضيحة أو الانتقام.

ويجب على المنظمات التي تركز على العنف القائم على النوع الاجتماعي وتلك التي تدعم برامج الصحة الإنجابية زيادة تدريبها للعاملين في المجال الإنساني ومدراء المخيمات والمجتمعات المحلية عموماً على الحماية من الاعتداء والاستغلال الجنسيين. تحتاج المنظمات الإنسانية ومنظمات الإغاثة العاملة في إدلب إلى التأكيد من أنها تراقب برامجها بشكل كاف ومناسب لحوادث سوء المعاملة أو الاستغلال. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي عليهم توفير طرق آمنة للمدنيين للإبلاغ عن الانتهاكات، بما في ذلك بين موظفيهم.

حتى في مواجهة مثل هذه المحن، أظهرت النساء السوريات في شمال غرب سوريا درجة عالية من المرونة. لقد خطّن خطوة كبيرة لملء الفراغ الذي خلفه تفكك الهيكل الاجتماعي والأسرية، متخدّين محاولات الجماعات المتطرفة لفرض المعايير والقواعد الاجتماعية التي تنتهك حقوق الإنسان الأساسية. وأصبح العديد منها من المعيلات لأسرهن وبذلّن في إنشاء أعمال تجارية صغيرة ويشاركن أيضاً في البرامج وورش العمل لاكتساب مهارات وخبرات جديدة.

12 مقابلات مع عمال الإغاثة في غازي عنتاب وأنطاكيا والريحانية، وعبر الهاتف داخل إدلب، مايو/أيار 2019

13 انظر هادية يحيى وحسن عرفه ، "الصلة بين الانتحار بين الفتيات في ريف إدلب والزواج دون السن القانونية" ، سوريا بعمق ، 28 يوليو / تموز 2017 ،

<https://www.newsdeeply.com/syria/articles/2017/07/28/the-link-between-suicide-among-girls-in-rural-idlib-and-underage-marriages>;

مولى بيرشتاين وساهر أتراش ، "تعطل الرعاية الصحية في سوريا: حالة الصحة الإنجابية" ، الجمعية الطبية السورية الأمريكية ، ديسمبر 2018 ،

[usa.net/wp-content/uploads/2019/01/RH-report-04-1.pdf](https://www.sams-usa.net/wp-content/uploads/2019/01/RH-report-04-1.pdf).

مع تزايد اضطلاع المرأة بأدوار قيادية، وضعت النساء برامج لتزويد النساء الآخريات بمهارات صنع القرار. ووصفت ناشطة سورية تجربتها الشخصية لفريق "منظمة اللاجئين الدولية":

"أنا ناشطة مدنية أقوم بالكثير من العمل. لكن المرة الأولى التي سمعت فيها بمصطلح "ورشة عمل" كان في العام 2015 أو 2016. وتساءلت مع نفسي "ورشة عمل! ماذا يعني ذلك؟ بعد أن تعرفنا على ورش العمل، قلنا نحن النساء يجب أن نحسن أنفسنا. الآن تريننا ننشط في العمل السياسي والمجتمعي وفي العديد من المجالات الأخرى. يمكنك أن ترين كيف أظهرت المرأة السورية إبداعاتها خلال الحرب."

### الأطفال والشباب والفئات المستضعفة الأخرى

في صفوف الأطفال والشباب، يتزايد التسرب المدرسي. وقد أثر العنف والتشرد ونقص الموارد المخصصة للمدارس ونقص في الكادر التعليمي المؤهل تأثيراً عميقاً على التعليم. وقال رئيس إحدى المنظمات غير الحكومية الداعمة للتعليم في إدلب: "يمكن أن يكون الطالب في الصف الرابع أو الخامس ولا يحسن القراءة." علاوة على ذلك، ووفقاً لعدد من ممثلي المنظمات غير الحكومية، غالباً ما يطلب المانحون التركيز على المرحلة الابتدائية، وتخصيص فقط قدر ضئيل من التمويل للمدارس المتوسطة والثانوية، ناهيك عن التعليم العالي. ونتيجة لذلك، وبدون فرص التعليم ومستقبل أفضل، يتم تجنيد الفتيان والشبان بشكل متزايد في الجماعات المسلحة.

أما الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة والمسنون فهم الأكثر عرضة للخطر. فالمجتمعات المحلية في إدلب غير مجهزة لتلبية احتياجاتهم.<sup>14</sup> يوضح ممثل إحدى المنظمات السورية غير الحكومية: "إمكانية تلبية حاجات هذه الفئات في ما يتعلق بالمراحيف والنظافة وأشياء أخرى محدودة". ويتعذر أولئك الذين تحدّ حالتهم من قدرتهم على التحرك إلى تهديد أكبر أثناء القصف الجوي لأنهم يواجهون صعوبة أكبر في التنقل والوصول إلى مأوى. كما يقول عامل إغاثة: "في المخيمات، غالباً ما تكون هذه الفئات محصورة في خيامها، لأن حركتهم صعبة بسبب الإزدحام".

14 في العام الماضي، قدرت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) أن أكثر من 1.5 مليون شخص كانوا يعانون من اعاقات دائمة مرتبطة بالحرب ، بين فيهم 86000 شخص فقدوا أطرافهم". لا نهاية في الأفق لسبع سنوات من الحرب في سوريا : الأطفال ذوي الإعاقة المعروضون لخطر الإقصاء" ، اليونيسف ، 11 مارس / آذار 2018 ،

، نisan أحمدو ، <https://www.unicef.org/mena/press-releases/no-end-sight-seven-years-war-syria-children-disabilities-risk-exclusion>;

"الضحايا المعوقون هم الأكثر عرضة للحرب السورية" ، صوت أمريكا، 15 مارس، 2019 ، <https://www.voanews.com/extremism-watch/disabled-victims-are-syrian-wars-most-vulnerable>



أطفال نازحون يعيشون بين أشجار الزيتون في منطقة أطمة، قرب الحدود مع تركيا.

AAREFWATAD/AFP/Getty Images

حتى مع تركيز المنظمات الإنسانية والجهات المانحة على تقديم المساعدة الأساسية، يجب عليهم النظر إلى ما وراء احتياجات الطوارئ. كما تُظهر قصص النازحين في إدلب وجوارها، فإن الحماية والتعليم الجيد والرعاية المتخصصة وفرص العمل كلها أمور ضرورية وأساسية لتخفيض المعاناة الإنسانية في تلك المقاطعة التي مزقتها الحرب.

### الضغط المجتمعي

خلال الحرب، أظهر سكان إدلب المحليين مرونة وتضامناً غير عاديين. ومع ذلك، فإن تدفق النزوح الجديد يختبر هذه الصفات. يختلط تعاطف المجتمعات المضيفة مع الغضب والإحباط بسبب المصاعب المستمرة. وقد فتح العديد من السكان منازلهم وأعدوا وجبات الطعام وقدموا المساعدات وجمعوا البطانيات والفرش ومواد أخرى لإعطائهما للنازحين الجدد. وتقاسم النازحون القدامي المساحة الصغيرة التي تتتوفر مع الوافدين الجدد. غير أن آخرون استغلوا الوضع لرفع الإيجارات وأسعار السلع، الأمر الذي غالباً ما يحمل البعض لمسؤوليته للنازحين ويلقون اللوم عليهم.<sup>15</sup>

أدى تركز النازحين في منطقة تقلص شيئاً فشيئاً إلى منافسة شرسة على الموارد المحدودة. وتتصاعد التوترات بين النازحين القدامي والجدد، وكذلك الاستياء بين السكان الأصليين الذين رأوا أن النسيج الاجتماعي لمجتمعهم قد يتغير تغييراً عميقاً. يشتكي طبيب سوري من هذا الوضع قائلاً: "قررتني هي في

15 وذكر بعض المحاورين تقارير غير مؤكدة عن قيام ملاك الأراضي بدفع 20 دولاراً لكل شجرة زيتون

الأساس مصيف لأهلها الذي يعيش العديد منهم في الخارج. الآن تحولت إلى بحر من الخيم والنازحين الذين أحضروا معهم مشاكلهم والفوضى. لم تعد بلدتنا تشعر بالهدوء والأمان بعد الآن. إنني أحلم باليوم الذي لا أرى فيه خيمة واحدة."

أصبحت المجتمعات والأحياء منقسمة على بعضها وتسودها العدائية. أوضح ذلك رئيس سابق لأحد المجالس المحلية في إدلب قائلًا: "لقد لعب نظام الأسد دائماً على وتر الانقسامات وغزاها بين حضري وقبلي، مديني وريفي، بين بلدة ضد أخرى أو أسرة أو قبيلة داخل بلدة ضد أخرى. اليوم نرى هذا الانقسام في أوجهه: سكان المنطقة الأصليون مقابل النازحون، والنازحون القدامى مقابل النازحون الجدد. يتم فصل الأحياء الآن وفقاً للمناطق التي ينتمي إليها سكانها - فهناك الحي الحمصي والحي الحلبي وهي الغوطة..."

يمكن لهذه الانقسامات أن تؤدي بسهولة إلى نشوب صراع في المجتمع. ينبغي على المنظمات الإنسانية أن تستجيب لاحتياجات المجتمعات المضيفة وأن تحسن التواصل مع قادة المجتمعات المحلية. كما ينبغي على الجهات المانحة توفير الدعم لفرص العمل وغيرها من البرامج الرامية إلى تخفيف التوترات الاجتماعية المتزايدة من خلال المساعدة في تلبية احتياجات السكان المضيّفين.

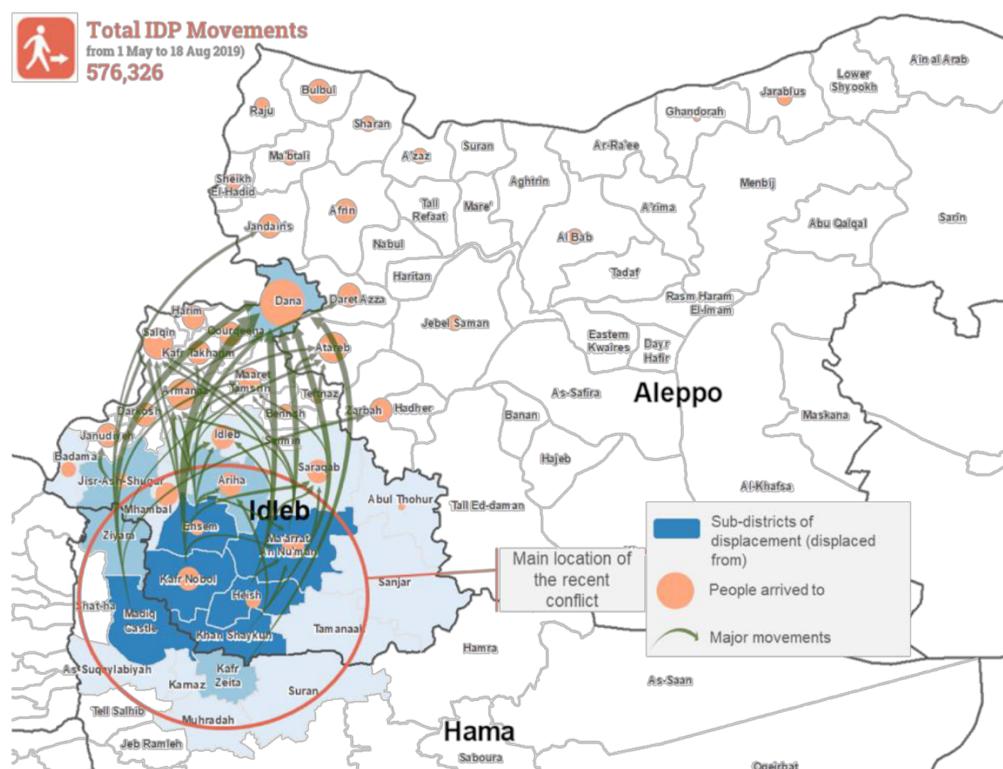


رفوف فارغة في مستودع لمنظمة إنسانية في منطقة الريحانية في تركيا قرب الحدود مع سوريا. تواجه المنظمات الإغاثية صعوبات عديدة في الاستجابة لاحتياجات النازحين الكبيرة في ظل تدني الموارد الداعم - صورة لمنظمة اللاجئين الدولية.

## الاستجابة الإنسانية تحت الضغط

في العام 2014، أقر مجلس الأمن الدولي القرار 2165 الذي ينظم الاستجابة الإنسانية في شمال غرب سوريا. ويسمح القرار بتوفير المساعدات عبر الحدود إلى المناطق غير الخاضعة لسيطرة الحكومة دون إذن أو تفويض من دمشق. وهي حالة فريدة و"واحدة من أكثر البلدان تعقيداً في تاريخ الاستجابة الإنسانية للأمم المتحدة".<sup>16</sup> وقد هددت روسيا مراراً باستخدام حق النقض (الفيتو) ضد القرار. لذا هناك مخاوف متزايدة لدى المنظمات الإنسانية من أن تعمد موسكو بالفعل بتنقض القرار في يناير/ كانون الثاني 2020 عندما يحين موعد تجديده. وسيحتاج أعضاء مجلس الأمن للأمم المتحدة إلى استخدام كل نفوذهم مع روسيا لضمان عدم تنفيذ موسكو لتهديداتها.

وعلى صعيد آخر، لقد أجبر الهجوم الأخير المنظمات الإنسانية على إعطاء الأولوية للتدخلات العاجلة المنقذة للحياة على حساب أشكال أخرى من المساعدات. وقد اضطررت هذه الجمعيات إلى تحويل المدارس والمساجد وغيرها من المباني إلى مراكز استقبال للنازحين. وحولت المنظمات الطبية عملياتها إلى حالة الطوارئ في المناطق التي تعرضت للقصف، إذ توقفت عن معالجة جميع الحالات سوى الطارئة منها أو تلك الناتجة عن إصابات باللغة. وتم إعادة توزيع الموظفين غير الأساسيين، وكذلك المعدات والإمدادات، إلى المناطق التي تستقبل موجات جديدة من النازحين. إلا أن استمرار التحديات الكبيرة جعلا تلبية الاحتياجات الأساسية غير ممكن إلى حد كبير.



مكتب منسق الشؤون الإنسانية للأمم المتحدة.

16 مقابلة هاتفية مع مسؤول في الأمم المتحدة في نيويورك، مايو/أيار 2019

## التحديات العملية

تجاوز نطاق وسرعة النزوح من قدرة مجموعات الإغاثة على الاستجابة. وأوضح أحد العاملين في المجال الإنساني: "إن الأزمة الإنسانية الحالية هائلة للغاية، فليس لدينا نحن [المنظمات الإنسانية] القدرة على معالجتها". وقال آخر: "لا يمكن للمنظمات الإنسانية ملء الفجوة التي تتطلب موارد الدول لسدتها".

كما أن شدة وكثافة القتال وجود الجماعات المتطرفة يحول إلى حد كبير دون وجود عمال إغاثة دوليين، ويدفع العديد من العمال السوريين إلى مغادرة إدلب. ونتيجة لذلك، تضطر مجموعات الإغاثة على إدارة برامج الإغاثة الخاصة بها عن بعد في وقت تسبب فيه هجرة الأدمغة في إضعاف القدرات المحلية. غالباً ما تعاني هذه العمليات من سوء الفهم، وانعدام الثقة بين الموظفين المحليين والمشرفين عليهم على الصعيد الدولي، والبيروقراطية والإدارة والمراقبة المراهقة.

غالباً ما يصاب هؤلاء الموظفون الذين مكثوا في الشمال الغربي بالارتكاك والارهاق. ويتم تهجير عمال الإغاثة المحليين جراء القصف وهم من أصبحوا الآن بحاجة إلى المساعدة. وأعرب طبيب يعمل مع منظمة طبية في منطقة أطمة على طول الحدود عن أسفه لحالته:

لمرة واحدة، أريد ولو لمرة أن يسألني أحدهم عنني وعن حالي الصحية والجسدية والعقلية والآلام الظاهر التي لا تطاق بسبب العمل دون توقف. في السنوات الثاني الماضية، أجريت أكثر من 9000 عملية جراحية، أكثر من عدد العمليات التي يجريها أي طبيب في حياته. كل ثلاثة أشهر، أصاب بانهيار وأقرر التوقف عن العمل، ثم ألم جسدي الممزق وأوصل السير.

وأخيراً، أدى نقص التمويل إلى زيادة عرقلة جهود الإغاثة، وإرهاق الجهات المانحة آخذ في الارتفاع. في العام 2018، خفضت إدارة ترامب أكثر من 200 مليون دولار من أموال الهدف إلى دعم مشاريع في شمال غرب سوريا.<sup>17</sup> في آذار/مارس 2019، تعهدت الولايات المتحدة بسوريا بمبلغ 397 مليون دولار، أي أقل بمبلغ 300 مليون دولار من ميزانية المساعدات في عام 2017.<sup>18</sup> كما لم يخصص أي من المانحين الرئيسيين أموال كبيرة للأزمة المستجدة في إدلب. وعليه، أجبر هذا النقص مجموعات الإغاثة على تحويل الموارد من برامجها الاعتيادية في مجالات أخرى لسد الفجوة. ونتج ذلك إلى تزايد الاستثناء المحلي ضد العاملين في المجال الإنساني. وقال أحد العاملين في منظمة غير حكومية سورية داخل إدلب: "يلقي الناس اللوم الكبير علينا لما يتعرضون له من محن،" وأضاف "مهما فعلنا، فلن يكون ذلك كافياً. ليس ب�能ورنا سد الاحتياجات جميعها".

17 فرانسيس ز. براون، "الولايات المتحدة تخفيضات لصناديق الاستقرار في سوريا تعرّض الخط الانتعاش الهش"، مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، 18 آب/أغسطس 2018، <https://carnegieendowment.org/2018/08/18/u.s.-cuts-to-syria-stabilization-funds-jeopardize-fragile-recovery-pub-77068>

18 روبين إمونت، "الأمم المتحدة تجمع 7 مليارات دولار لسوريا من المانحين"، رويترز، 14 آذار/مارس 2019، <https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-idUSKCN1QV144>



أصبح الكادر والمنشآت الطبية هدف القصف المتعمد من قبل النظام السوري وروسيا – صورة لـ "سامز".

## سياق إدلب المعقد

تفاقم هذه التحديات العملية بسبب الواقع السياسي والعسكري المعقد لإدلب. وفي حين أن استهداف المدنيين عشوائي، غالباً ما يستهدف النظام السوري وروسيا الجهود الإنسانية وجهود المجتمع المدني بشكل متعمد. إن القصف الجوي للمدارس والمستشفيات ومرافق الدفاع المدني وسيارات الالساعف وغيرها من البنية التحتية المدنية أمر شائع للغاية. وقد دفع التماس يائس من أجل الحماية العديد من المنظمات غير الحكومية إلى مشاركة إحداثيات مراقبتها مع مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا). وبدوره، قام الآخرون بمشاركة هذه الإحداثيات مع الأطراف المتحاربة من خلال ما يسمى بـ "آلية تفادي التضارب الإنسانية".

وتفيد التقارير بأن مكتب "أوتشا" يحقق في العديد من الهجمات ضد منشآت "لا يتوجب ضربها" لكنه لم يصدر تقريره بعد. في أوائل أغسطس/آب 2019، أذن الأمين العام للأمم المتحدة بإجراء تحقيق آخر في هذا الاستهداف. يجب أن يكون الانتهاء من هذا التحقيق ونشر نتائجه أولوية قصوى. لم تتمكن الأمم المتحدة من تأمين الحماية للمرافق الإنسانية، لكن لها دور مهم في تسهيل المساءلة.

في مؤتمر صحفي تم عقده في حزيران/يونيو 2019، طلب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من نظيره الروسي "رجاءً، خذ الأمور بسهولة مع إدلب".<sup>19</sup> وبصرف النظر عن هذه التعليقات الكثيرة نوعاً ما فإن إدارته تبدو منقطعة إلى حد كبير عن الأحداث في شمال غرب سوريا. وقد تمنت روسيا ونظام الأسد بحرية كبيرة. وقد أثبتت الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة ترددتها في إشراك موسكو في البحث عن حل دبلوماسي في إدلب وفي الواقع سوريا على نطاق أوسع. وتظهر العواقب الإنسانية المترتبة لهذا التردد في الوقت الراهن بصورة كاملة.

وعليه، فإن سيطرة الجماعات المتطرفة على إدلب تشكل تحدياً كبيراً للمنظمات الإنسانية ومنظمات المجتمع المدني.

### هيمنة هيئة تحرير الشام

في العام 2016، قطعت جبهة النصرة، وهي إحدى التنظيمات المرتبطة بتنظيم القاعدة والتي تم إنشاؤها في العام 2011 بقيادة أبو محمد الجولاني، علاقاتها الخارجية مع تنظيم القاعدة وتعيير إسمها إلى جبهة فتح الشام. بعد فترة وجيزة، وبعد اندماج العديد من الفصائل الأخرى، أخذت إسم هيئة تحرير الشام (الهيئة). في هجومها في يناير/كانون الثاني 2019، أخلت الهيئة مجموعات المعارضة المسلحة الرئيسية المدعومة من تركيا إلى المناطق الخاضعة لسيطرة التركية في محافظة حلب، والمعروفة باسم منطقة درع الفرات. اليوم، ينتمي غالبية المقاتلين في شمال غرب سوريا البالغ عددهم ما بين 20000 إلى 30000 مقاتل للهيئة وغيرها من الجماعات الجهادية المتطرفة.<sup>20</sup> وفي أواخر آب/أغسطس، قتل هجوم صاروخي أمريكي العشرات من مقاتلي الميليشيات التابعين إلى بعض هذه الجماعات.<sup>21</sup>

استخدمت الهيئة قوتها العسكرية للسيطرة على هيكل الحكم في إدلب. وأسست "حكومة الإنقاذ" باعتبارها مرعية الحكومة حيث استولت على هيئات الحكم الأخرى مثل المجالس المحلية والمديريات. وقد سعت الهيئة وغيرها من المجموعات المتطرفة إلى فرض لباس محافظ جداً بين الرجال والنساء وحظر التدخين وشرب الكحول والاستعمال إلى الموسيقى وغيرها من الأمور، كما فرضوا الفصل بين الجنسين في المستشفيات والمدارس والمرافق المدنية الأخرى. على الرغم من أن بعض السكان يرحبون بهذه الممارسات، إلا أن الكثير منهم يشعرون بالاستياء بل ويقاومونها. قالت إحدى الناشطات في إدلب لفريق منظمة اللاجئين الدولية أن "وضع مساحيق التجميل، على سبيل المثال، يمثل تحدياً لهذه المجموعات لدى كثير من النساء".

وتفيد التقارير بأن أعضاء الهيئة كثيراً ما يرتكبون انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان، بما في ذلك المضايقات والاغتيالات والخطف والتعذيب. ويعتقد أن الفدية تشكل أحد مصادر إيرادات الهيئة العديدة. ومع ذلك، فإن الهيئة ليست كتلة متراسقة. من المؤكد أنها تجمع بين المقاتلين الجهاديين المتصلبين من سوريا ومن

19 ملاحظات الرئيس ترامب في مؤتمر صحفي، أوساكا، اليابان، "البيت الأبيض، 29 يونيو، 2019، <https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-press-conference-osaka-japan/>

20 سوريا: من يسيطر على إدلب؟" بي بي سي، 22 يونيو، 2019، <https://www.bbc.com/news/world-45401474>

21 هارون الأسود، "عشرات المسلمين الذين قتلوا بقصد التحالف على إدلب السورية وسط وقف إطلاق النار"، عين الشرق الأوسط، 31 أغسطس 2019، <https://www.middleeasteye.net/news/government-halts-idlib-bombardment-after-ceasefire>

الخارج، لكنها أيضاً تضم سكان محلين التحقو بها لأسباب انتهازية أو لدعم مأثرها العسكرية ضد نظام الأسد. وعليه، تختلف قوة مقاتلي الهيئة ونفوذهم وسلوكهم من منطقة إلى أخرى.

## مكافحة الإرهاب ومخاطر تحريف المساعدات

أدى تواجد الهيئة وغيرها من المتطوفين إلى الحد من المساعدات الإنسانية وزاد بذلك من إرهاق الجهات المنانحة. وفي الشمال الغربي، أبلغ المحاورون من المنظمات غير الحكومية وكالات الأمم المتحدة والحكومات المنانحة عن تخويف الهيئة ومحاولاتهم تحويل مسار المساعدات إلى درجات مختلفة، اعتماداً على سيطرتها المحلية. وتشمل هذه المحاولات التدخل في قوائم المستفيدين، وتقييد إمكانية الوصول إلى المحتاجين، والسيطرة على عمليات تقديم المساعدات، والتدخل في تعيين الموظفين.

في أعقاب استيلاء الهيئة في يناير 2019، علقت بعض وكالات المعونة تمويلها، بما في ذلك برامج الإنقاذ.<sup>22</sup> وآخرون قطعوا التمويل عن معظم المناطق باستثناء العمليات الإنسانية.<sup>23</sup> بالإضافة إلى ذلك، طلبت الولايات المتحدة من جميع المنظمات التي تمولها الولايات المتحدة الحصول على موافقة مسبقة للعمل في الأراضي التي تسيطر عليها الهيئة أن تدير المنظمات الإنسانية فحصاً فريدياً للموظفين والشركاء والمقاولين من خلال نظام مكتب مراقبة الأصول الأجنبية (OFAC).<sup>24</sup> وبشكل عام، دفعت سيطرة الهيئة المنانحة إلى التراجع عن "تمويل جميع الاحتياجات الأكثر إلحاحاً في إدلب، ما عدا تلك المنقذة للحياة"، حسب ما قال منسق الشؤون الإنسانية الإقليمي في الأمم المتحدة.<sup>25</sup>

كما فرضت أنظمة مكافحة الإرهاب قيوداً إضافية على المنظمات الإنسانية، مما أجبرها على اتخاذ تدابير امتنال كثيفة الموارد، وخفض عملياتها، وإنها برامجها في الحالات القصوى.<sup>26</sup>

أثرت بعض التخفيفات على الأموال غير الإنسانية، بما في ذلك بعض هيئات الحكم المحلي، والتي تعتبر ضرورية لتنفيذ الاستجابة الإنسانية. على سبيل المثال، استهدفت هذه التخفيفات مديرية الصحة والتعليم في إدلب، استناداً إلى شكوك - وليس تحقيقاً شاملأً - في تدخل حكومة الإنقاذ.<sup>27</sup>

22 ونتيجة لذلك، واصل الأطباء وعمال الإغاثة العمل لمدة شهر دون أجر. انظر أيضاً: "جماعات الاتحاد الأوروبي توقف دعم المراكز الطبية في سوريا، إدلب"، ميدل إيست مونيتور،

23 يناير/كانون الثاني 2019، <https://www.middleeastmonitor.com/20190123-eu-groups-suspend-support-for-medical-centres-in-syria>.

idlib/

24 يفترض أن المساعدات الإنسانية تلبى الاحتياجات العاجلة مثل الغذاء والمأوى والرعاية الطبية. سوريا: نظرة عامة على الاستجابة الإنسانية، خدمة أبحاث الكونغرس، 13 مارس

2014؛ انظر أيضاً بن باركر، "الإغلاق والتغليق والتهديدات القانونية تعرّض الإغاثة في المتاعب في العالم للخطر"، الإنسانية الجديدة، 26 أيلول/سبتمبر 2018.

<https://www.thenewhumanitarian.org/analysis/2018/09/26/shutdowns-suspensions-and-legal-threats-put-relief-world-s-trouble-spots-risk>

25 مقابلات مع العاملين في المنظمات غير الحكومية في تركيا والولايات المتحدة، حزيران/يونيو 2019. انظر أيضاً بن باركر، "الولايات المتحدة تشدد إجراءات مكافحة الإرهاب ضد

معونة سوريا"، الإنساني الجديد، 21 أيلول/سبتمبر 2018، <https://www.thenewhumanitarian.org/news/2018/09/21/us-tightens-counter-terror-clampdown-syria-aid>

26 باركر، "الولايات المتحدة تشدد إجراءات مكافحة الإرهاب".

27 تتفق معظم المنظمات موارد كبيرة لامتنال لأنظمة مكافحة الإرهاب الخاصة بهؤلاء المنانحين. وعلى سبيل المثال، "زاد المجلس الترويجي للجنيين (NRC) من إنفاقه لامتنال من 40,000 دولار في عام 2017 إلى 575 ألف دولار في العام 2019 لوحدة مخصصة بما في ذلك محقق متفرغ لمكافحة الفساد. بما في ذلك تكاليف الموظفين، تقدر نفقات المجلس القومي للأبحاث المخصصة لأنظمة مكافحة الإرهاب بمبلغ يزيد عن مليون دولار"، كتب جويل ر. تشارني، المدير التنفيذي للمنظمة الولايات المتحدة. "مكافحة الإرهاب والعمل الإنساني: أحطأ عدم التسامح مطلقاً، الحرب على الصخور، 20 مارس/آذار 2019،

<https://warontherocks.com/2019/03/counter-terrorism-and-humanitarian-action-the-perils-of-zero-tolerance/>.

28 مقابلات مع العاملين في المنظمات غير الحكومية في تركيا وغير الهاتف، حزيران/يونيو وأيلول/سبتمبر 2019.

أخيراً، فقد قلصت هذه اللوائح التبرعات الخاصة التي تعتمد عليها العديد من المنظمات غير الحكومية السورية. وأوضح رئيس إحدى هذه المنظمات: "في الماضي، كانت المجتمعات الإسلامية في أوروبا وأماكن أخرى سريعة في الاستجابة لأية أزمة. ولكن، بسبب تشديد أنظمة ولوائح مكافحة الإرهاب، أصبح هؤلاء يتخفون من إعطاء التبرعات كي لا يتممموا بتمويل الجماعات المتطرفة".

## مقاومة التدخل في العمل الإنساني

لدى المانحين أسباب مشروعة تدعوا للقلق بشأن تحريف مسار المساعدات. وقد اتخذت معظم المنظمات الإنسانية العاملة داخل سوريا تدابير مهمة لمعالجة هذه المخاوف. أصبح الفريق العامل المعنى بالتدخل (AWG) بقيادة "أوتشا" مكاناً لوكالات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية لمناقشة تدخل الجماعات المسلحة والإبلاغ عن حوادث تحريف المساعدات. في السنوات الأخيرة، طورت العديد من المنظمات أدوات إضافية وأكثر تطوراً لفحص موظفيها أو المتعاقدين معها أو أي طرف آخر حول انتمائهم لجماعات إرهابية. ومع ذلك، فإن أكبر مصدر للنفوذ في مقاومة محاولات الهيئة لتحريف المساعدات أو التدخل في العمل الإنساني لا يزال يتمثل بالتهديد بوقف الخدمات في المجتمعات المحلية. وعندما تجد جماعات الإغاثة أنه من الضروري تعليق المساعدات، تصب هذه المجتمعات لومها على الهيئة وغيرها من الجماعات المسلحة وغالباً ما تضغط عليها لتغيير سلوكها. وأبلغ ممثلو المنظمات غير الحكومية منظمة اللاجئين الدولية أنهم أوقفوا عملياتهم مراراً، وعلقوا تسليم المساعدات، بل وانسحبوا من منطقة بالكامل لمواجحة محاولات تحويل المساعدات.<sup>28</sup> في هذه الظروف، أثبت ضغوط المجتمع "آلية فعالة بشكل ملحوظ"، كما قال مسؤول أمريكي في أنقرة.

والأهم من ذلك، أن التخفيضات المالية لمنظمات الإغاثة بسبب مخاوف مكافحة الإرهاب تضر بشدة بالناس الذين هم في أمس الحاجة لمثل هذه المساعدة.

ومن المفارقات، أنه قد يقوض قدرة تلك المنظمات على مقاومة التدخل والحفاظ على استقلالها عن الجماعات المسلحة. فكلما قلت الموارد المتاحة لدى المنظمات الإنسانية، قلَّ تأثير هذه المنظمات في المجتمعات التي تخدمها. وهذا النقص بدوره يجعلهم أكثر عرضة للسلوك المفترس من جانب الجماعات المسلحة. وحضر مسؤول غربي في مجال دعم مشاريع الاستقرار، معلقاً على تعليق الأموال مؤخراً إلى مديرية صحة إدلب، قائلاً: "تلعب المديرية دوراً حاسماً في منع هيئة تحرير الشام من السيطرة على القطاع الصحي. سيؤدي تعليق تمويلها إلى إضعاف دورها كحاجز بين المنظمات الطبية الصحي من جهة والجماعات المسلحة من جهة أخرى".<sup>29</sup>

إضافة لذلك، استخدمت الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية سبل وصولهم إلى قنوات الاتصال مع الهيئة لنقل "الخطوط الحمراء" للمانحين. ووفقاً لمسؤول من الأمم المتحدة ومسؤول أحد الدول المانحة الغربية، كانت هذه القنوات فعالة إلى حد ما في التأثير على سلوك الهيئة. على سبيل المثال، أدت وساطة الأمم المتحدة مع حكومة الإنقاذ التابعة للهيئة إلى وقف الصرائب المفروضة على شاحنات المساعدات

28 مقابلات مع العاملين في المنظمات غير الحكومية في تركيا، حزيران/يونيو 2019

29 مقابلة هاتفية مع مسؤول عن دعم مشاريع استقرار في تركيا، أغسطس/آب 2019. فعلى سبيل المثال، ترفض المنظمات الطبية التوقيع على مذكرات تفاهم مع حكومة الإنقاذ التابعة في ما يتعلق بإدارة وتنسيق الخدمات الطبية مع حكومة الأمر الواقع بل تتعامل بدلاً من ذلك مع مديرية الصحة.

وإعادة فتح المعبر الرسمي في باب الهوى بين تركيا وإدلب حتى تتمكن المنظمات الإنسانية من تقديم المساعدة الضرورية.<sup>30</sup>

ويينبغي أن يواصل المانحون دعمهم للشركاء الذين لهم أهمية بالغة في الاستجابة الإنسانية، في حين ينبغي على الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية وغيرها من هيئات الحكم المحلي تعزيز آليات المساءلة والمراقبة وضمان الشفافية الكاملة في الإبلاغ عن حوادث تحويل المساعدات إلى الجهات المانحة.

## دور أنقرة المختلط

تستضيف تركيا أكثر من 3.5 مليون سوري - أكثر من أي دولة أخرى في العالم. بيد أن الاستجابة لاحتياجاتهم قد فرضت ضعطاً اقتصادياً وسياسياً هائلاً على تركيا. ويبعد أن أنقرة، التي لا ترغب في قبول المزيد من اللاجئين، مصممة على إبقاء حدودها مغلقة، حتى مع استمرار القصف المتواصل في سوريا.

بل إن القوات العسكرية التركية قامت بإطلاق النار وقتل سوريين كانوا يحاولون العبور إلى داخل البلاد.<sup>31</sup> بيد أن الضغط على طول الحدود التركية في تزايد. وفي 30 أغسطس/آب، نظم آلاف السوريين مظاهرات عند نقطة عبور الحدود. قام بعض المتظاهرين المحتجين بالمرور اندفاعاً عبر حرس الحدود التركي وسيطروا على مركبة مدرعة تركية.<sup>32</sup> ومع ذلك، من غير المرجح أن تفتح تركيا حدودها أمام اللاجئين الجدد ما لم يتم ممارسة ضغوط دولية قوية.

ومع ذلك، فإن الجهات الدولية الفاعلة - والدول الأوروبية على وجه الخصوص - ترغب أيضاً في تجنب وصول موجات جديدة من اللاجئين السوريين إلى شواطئها عبر تركيا. ولقد امتنعت الحكومات الأوروبية عن انتقاد قرار تركيا بإبقاء حدودها مغلقة. وكما قالت إحدى الباحثات في مجال حقوق الإنسان، فإن "تركيا محمية بشكل جيد دبلوماسياً. والجميع يستفيد من بقاء الحدود مغلقة". ومع ذلك، إذا تصاعدت الأزمة، يجب أن تسمح أنقرة لعدد معين من السوريين باللجوء مؤقتاً إلى المخيمات الموجودة على طول الحدود الجنوبية لتركيا. ويجب أن تكون أوروبا والجهات المانحة الكبرى الأخرى على استعداد لاستخدام مزيج من المساعدات الدولية الجديدة والضغط الدبلوماسي لإقناع تركيا باختيار هذا الطريق وفتح معابرها الحدودية أمام اللاجئين. علاوة على ذلك، فمن المحتمل أن يلجأ المزيد من المدنيين إلى المناطق التي تسيطر عليها تركيا في شمال سوريا . لذلك، ينبغي على تركيا إنشاء مخيمات للنازحين داخلياً في هذه المناطق لاستيعاب أعداد إضافية من المدنيين الذين يشعرون بالعنف.

وفي الوقت نفسه، يتبعن على أنقرة أيضاً استخدام نفوذها للضغط من أجل إيجاد حلول دائمة في شمال غرب سوريا. حتى الآن، لا يزال وقف إطلاق النار قائماً. وقد سمح ذلك بتخفيف الضغط على المدنيين وإن قليلاً في الشمال الغربي. ومع ذلك، فإن معظم المراقبين يشككون بشدة في احتمال دوام الهدنة. ووفقاً لمستشاره

30 مقابلات مع مسؤولي الأمم المتحدة في تركيا والولايات المتحدة، نوفمبر/تشرين الثاني 2018 ويونيو/حزيران 2019.

31 زهير الشمالي، "الموت في الظلام: قصص من طرق التهريب خارج سوريا"، ذا ناشيونال، 10 يونيو / حزيران 2019.

<https://www.thenational.ae/world/mena/death-in-the-dark-stories-from-the-smuggling-routes-out-of-syria-1.872500>

32 السوريون يخجون على أردوغان مع تفاقم أزمة إدلب، أهفال، 30 آب/أغسطس 2019. <https://ahvalnews.com/idlib/syrians-protest-turkeys-erdogan->

[idlib-crisis-deepens](#)

الرئيس السوري، فإن وقف إطلاق النار "مؤقت ... وليس جزءاً من أي تفاهم على الحدود."<sup>33</sup> وانهار ترتيب مماثل في مطلع آب/أغسطس في غضون ثلاثة أيام فقط. ويتعين على أنقرة وموسكو وجميع الفاعلين الآخرين أن يناقشوا الخطوات الواقعية للتوصل إلى وقف دائم لإطلاق النار.

### الضغط على المنظمات الإنسانية

تقدّم الحكومة التركية والعديد من المنظمات التركية غير الحكومية مساعدة إنسانية مهمة داخل إدلب. كما أن تركيا تشكّل أيضاً قاعدة لعمليات معظم المنظمات الإنسانية التي تقدّم مساعدات عبر الحدود إلى سوريا. غير أنّ تركيا قد حدّت تدريجياً من المساحة العملية للمنظمات غير الحكومية في غازي عنتاب والمدن التركية الأخرى التي كانت بمثابة مراکز لتوصيل المساعدات. في العام 2017، اضطربت منظمات غير حكومية دولية مهمة، بما في ذلك ميرسي كوربس ومنظمة إنقاذ الطفولة ولجنة الإنقاذ الدولية، والتي تتّمتع بعقود من الخبرة في الاستجابة للأزمات الكبرى في جميع أنحاء العالم، اضطربت إلى إغلاق مكاتبها في تركيا أو نقلها أو تقليل حجمها. وعلى الرغم من تمكن البعض من نقل عملياتهم إلى عمان في الأردن، إلا أنّ تأثير انخفاض تواجدهم أصبح محسوساً اليوم مع محاولة المنظمات غير الحكومية المحلية الأقل خبرة فيسد الفجوة الناتجة.



لمنع تدفق جديد لللاجئين، قامت تركيا ببناء جدار يبلغ طوله 500 ميل تقريباً على حدودها الجنوبيّة مع سوريا. وتبدو تركيا مصممة على إبقاء حدودها مغلقة رغم استمرار القصف المتواصل في شمال غربي سوريا.

33 بثينة شعبان: قرار الهدنة بادلب "مؤقت". والجيش التركي سيغادر "مجيراً" سوريا، سيريا نيوز، 1 أيلول/سبتمبر 2019، <https://syria.news/c6821484>، 01091912.html

تستهدف تركيا بشكل متزايد بقية الجمعيات العاملة في المجال الإنساني، ومعظمهم من السوريين. على سبيل المثال، يستصعب بعض هذه المنظمات الامتنال للأنظمة الجديدة. وقد تم تغريم عدد منها بمبالغ تصل إلى مئات الآلاف من الدولارات لاستخدامها نظاماً غير رسمي لتحويل الأموال على الرغم من أن تركيا تطلب استخدام المديرية الوطنية للبريد والتلغراف (Posta ve Telgraf Teşkilatı) PTT لتحويل الأموال.

والأكثر إثارة للقلق هو القيود المشددة المفروضة على تصاريح العمل حيث أثرت تأثيراً عميقاً على قدرات المنظمات ومعنويات الموظفين. وقال العديد من موظفي المنظمات غير الحكومية السورية لمنظمة اللاجئين الدولية أن تركيا رفضت تجديد تصاريح عملهم. ويُجبر آخرون على العمل من المنزل خوفاً من المداهمات التي تشنها الشرطة. ونتيجة لذلك، يعيش الموظفون السوريون في تركيا في خوف دائم وعدم يقين. ووفقاً لما ذكره عدد من المتحاربين، فإن أنقرة أصبحت تشكك بوجود المنظمات الإنسانية الأجنبية وتسعى إلى ممارسة قدر أكبر من السيطرة على ما تبقى منها. وقال ممثل في مركز أبحاث تركي في أنقرة "بالنسبة لتركيا، إنها تعتبرها مسألة سيادة".

## الخاتمة

إن إنهاء الهجوم الوحشي الذي يتسبب في القتل والتفجير والبؤس الجماعي ليس مسؤولية أخلاقية فحسب، بل إنه ضرورة لمنع المزيد من زعزعة استقرار المنطقة. وعليه، ينبغي على جميع الجهات الفاعلة ألا تدخل أي جهد لبلوغ هذا الهدف. وبينما على الأطراف المتحاربة أن تتحرك بسرعة لتعزيز وقف إطلاق النار الحالي وتحقيق وقف دائم للأعمال القتالية. وإذا استمر العنف، فإن الأزمة الإنسانية تهدد بأن تصل إلى مستويات لم يسبق لها مثيل، وسيفقد عدد أكبر من المدنيين حياتهم أو حياة أحبابهم.

## نظرة عامة على البحث

سافر فريق من منظمة اللاجئين الدولية إلى تركيا في حزيران/يونيو 2019 لبحث تأثير الهجوم العسكري الذي شنه النظام السوري على إدلب والمناطق المحيطة بها، وتقدير الاحتياجات الإنسانية، ودراسة الاستجابة الإنسانية للأزمة الجارية. إلا أن الفريق لم يتمكن من السفر إلى إدلب لأسباب أمنية. فقد زار غازي عنتاب وأنطاكيا والريحانية في جنوب تركيا على طول الحدود مع سوريا، بالإضافة إلى أنقرة. وقد أجروا أكثر من 50 مقابلة مع ممثلي المنظمات غير الحكومية السورية والدولية والتركية ووكالات الأمم المتحدة ومراسلون أبحاث تركية وحكومات غربية فضلاً عن ناشطين سوريين ومسؤولين من المانحين الغربيين. ومن أجل فهم أوسع للحالة الإنسانية على أرض الواقع، أجرى الفريق مقابلات هاتفية مع نازحين وعمال إغاثة وناشطين داخل إدلب.

## نبذة عن الكاتبة

تدير سحر الأطرش برنامج الشرق الأوسط في منظمة اللاجئين الدولية، وقد شغلت سابقاً منصب مسؤولة مناصرة في الجمعية الطبية الأمريكية السورية (سامز)، كما عملت كمحللة سياسية في برنامج الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لمجموعة الأزمات الدولية.

## نبذة عن منظمة اللاجئين الدولية

تناصر منظمة اللاجئين الدولية قضايا اللاجئين داعية إلى تقديم المساعدات الإنسانية وتوفير الحماية لهم والبحث عن حلول تخفف من معاناة النزوح. لا تقبل منظمة اللاجئين الدولية الدعم المالي من الدول ولا من الأمم المتحدة، وذلك حفاظاً على استقلالية المنظمة ومصداقيتها.



2001 S Street NW  
Suite 700  
Washington, DC 20009

Phone: (202) 828 0110  
Fax: (202) 828 0819  
Email: [ri@refintl.org](mailto:ri@refintl.org)

Twitter: @RefugeesIntl  
Instagram: @RefugeesIntl  
Facebook: Refugees International